(( تعظيم الله ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

كلَّما افتخر غنيّ بغناه وقويّ بقواه وملِك بملكه وعالم بعلمه .

كلَّما استعرضَ ملكٌ من ملوكِ الأرضِ جيوشَهُ وعسكرَهُ وسلاحه وعتاده .

كلَّما بطشَ طاغوتٌ من طواغيتِ الأرضِ بخصومِهِ، فطغى وبغى وقتل بلا حساب،

وسجنَ بلا برهان، وعذَّب بلا ضميرٍ ولا إحساس ..

كلّما انطلقَ موكبٌ من مواكبِ ذوي الشأنِ فأغلقتْ لأجله الطرقُ، واصطفَّ له العسكرُ، ومرَّ مرَّ البرقِ في عشراتٍ من السياراتِ الفاخرة التي تخطف الأبصار

كلَّما خرج ثريٌّ في زينته فكشف عن طائرتِهِ الخاصةِ، وأبدى للناس ضخامةَ قصرِهِ وفخامتَهُ، وبعثرَ المال الجمَّ على السهر والسفر والسّفه ..

كلَّما شخصت الأبصار، وصغت الآذان، وهمست الشفاة بجبروت وقوة وثراء هؤلاء،

وما أوتوا من قوة وملك وصحّة وسعة مال ..

وقعَ في الأنفس تعظيمُ هؤلاءِ، وشعرنا بالإجلال والتعظيم والرهبة لهؤلاء العظماء

بل ربما تنازعت القلوبَ مشاعرُ الإجلالِ والتعظيم والهيبةِ والرهبةِ .

وليس هذا بعجيب ولكنّ العجب !!

أنَّ (اللهَ) الذي خلقَ هؤلاءِ من ماءٍ دافقٍ مهين ، وخلق هذا المتاع كله..

(اللهَ) الذي لولاه ما جرى الدم في عروق هؤلاء ..

(اللهَ) الذي آتاهم الملكَ بمشيئتِهِ، وينزعه منهم بقدرتِهِ..

(اللهَ) الذي خلق حتى الهواء الذي يتنفسونه، والأرض التي يمشون عليها،

(اللهَ) الذي لو شاءَ لخسفَ بهم الأرضَ ..

العجيبَ أنَّ (اللهَ) جلَّ جلالُهُ ربَّ البشرِ الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ويرزق من في السماوات والأرض من خلقه وعبيده، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر .

(الله) الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه،

(الله) تفجرت من خشيته الأحجار بالأنهار وتشققت من مهابته الصخور بالعيون الغزار .

(الله) الذي تجلى للجبل وانهار دكا وخر موسى صعقا .

(الله) العظيم في ذاته وصفاته العظيم في علمه وقدرته، الذي لا تنفذ خزائنه، ولا تنتهي كنوزه ولا يوصف جوده .

(الله) الذي قامت له السموات والأرض وصلح به أمر الدنيا والآخرة العزة له والجبروت له والعظمة له والعبادة والإفتقار والذلّ والإنكسار له .

الله الكبير المتعال الذي عنده ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ الأنعام: ٥٩

لايملأ قلوبَ هؤلاء البشر بمثلِ ما ملأتْ قلوبَهم (عظمةُ) هؤلاء البشر!

معاشر المؤمنين إن من أعظم عبادات القلوب وأعظم مقاصد العبادة أن يعظّم الله عز وجل في النفوس قال تعالى ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الحج: ٣٢

ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮﯯ ﭼ الحج: ٣٧

وتالله لو رسخ تعظيم الله في قلوبنا ، لانكسرت وذلت واستسلمت القلوب وأنابت لله الكبير العظيم

لو عظمت شعائر الله في القلوب لسكنت التقوى في قلوبنا .

من هنا جاء هذا الركن الخامس من أركان هذا الدين العظيم ليذكرنا بالمقصد الأعظم من الحج وهو أن يعظّم الله في القلوب ويوحّد ولا يشرك به شيئا ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الحج: ٢٦ ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الحج: ٣٢

إن الضلال كل الضلال أن يفقه المسلمون والحجاج أن الحج نزع للمخيط، وترديد للتلبية، وتنقل بين المشاعر دون أن يخلّد المعنى الحقيقي في النفوس وهو تعظيم الله.

إن الحج توحيد وتعظيم لله، والتلبية توحيدٌ وتعظيمٌ لله، والذبح والنحر توحيدٌ وتعظيمٌ لله ، والمبيت ورمي الجمرات توحيدٌ وتعظيمٌ لله، ويوم عرفات توحيدٌ وتعظيمٌ لله.

والإحرام والطواف والسعي توحيدٌ وتعظيمٌ لله .

فالمعظم لله حقا من يعلم بأنه لا إله يعبد بحق إلا الله الذي بيده ملكوت كل شي من نفع وضر وعطاء ومنع ، فلا يسأل ولا يدعوا غير الله ولا يسجد ولا يخضع ولا ينذر ولا يذبح لغير الله ، فويل للمشركين وطوبى للموحدين .

ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الحج: ٣٠ – ٣٢.

فيا معاشر المؤمنين إن ربكم عز وجل يناديكم بنداء الإيمان: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ المائدة: ٢

قال القرطبي رحمه الله : أَيْ: لَا تَتَعَدَّوْا حُدُودَ اللَّهِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ. تفسير القرطبي (6/37) .

وقال المراغي رحمه الله : يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا شعائر دين الله حلالا لكم تتصرفون فيها كما تشاءون بل اعملوا بما بيّنه لكم، ولا تتهاونوا بحرمتها . تفسير المراغي (6/44) .

أخي الحاج .. تذكر رعاك الله أنك في مكة، في قلب العالم في البلد الأمين في البلد الحرام في أم القرى في قبلة الدنيا في مولد الهادي محمد في مهبط الوحي، هنا البيت العتيق، هنا المسجد الحرام ، حيث زمزم والحطيم والحجر والمقام والملتزم والطواف والسعي ، من مكة انبعث النور وتبدد الظلام، على رمال مكة عفر الشرك ومزق الوثن، هنا نزلت الكلمة الطيبة، هنا هبط جبرائيل ، هنا نزل الوحي، هنا نزلت: **ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ** العلق: ١.

هنا انشق القمر ليكون آية على صدق رسول الهدى **ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ** القمر: ١.

أيها الحاج أنت في أحب البقاع إلى الله ..

أيها الحاج أنت في بلد الأمن والأمان ..

أيها الحاج أنت في بلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ..

أيها الحاج أنت في بلد الصلاة فيه بمائة ألف صلاة

فتأمل هذه المشاعر فإن إجلالها من توحيد الله وتعظيمها من تقوى القلوب

قال ابن منده في كتاب الإيمان (1/300) : " وَالْعِبَادُ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ عَلَى قَدْرِ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ، وَالْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ فِي السِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةِ " .

الثانية

يا سكان الحرم ها هم حجاج بيت الله جاءوا من كل فج عميق ، وأحلوا ضيوفاً بواديكم

فيا ساكن البيت العتيق .. تصور نفسك في مكان هذا الحاج قد تغربت عن بلادك وأهلك وولدك ولغتك فكيف تحبّ أن يتعامل معك أهلها ؟

يا ساكن الحرم ..

إنّ حجاج بيت الله هم وفد الله دعاهم فأجابوا النداء وطاروا شوقا إلى ربهم.

يا ساكن الحرم ..

والله وتالله لو نزل بك ضيف لأكرمته فهذا ضيف الرحمن وإن إكرامه من إكرام الله.

يا ساكن الحرم .. لا تبخل ببشاشة الوجه لإخوانك ؟

يا جيران الحرم أيعجز أحدنا عن رد السلام وبسطة الوجه لإخوانه ؟

يا حماة البيت أيعجز أحدكم عن كلمة طيبة وقول معروف لإخوانه؟

يا ساكن الحرم أيعجز أحدنا عن جرعة ماء ولقمة غداء وكتاب علم وذكرٍ ودعاء يتلطف بها حجاج بيت الله العتيق ؟

أيعجز أحدنا أن يكف أذاه وشره عن حجاج بيت الله؟

فإلى كل من تولى أعمالا على الحجيج، إلى رجال الأمن، إلى أصحاب الحملات، إلى المطوفين، إلى كل من يسعى في أعمال الحجيج، إلى أئمة المساجد، إلى أصحاب المحلات التجارية والأسواق المركزية إليكم جميعاً، أقول: جاءكم وفد الله جاءكم حجاج بيت الله الحرام فبماذا سيستقبل ضيوف الرحمن ؟

يا سكّان الحرم ..

يقول ابن عباس { : "لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق لأتوهم حتى يقبّلوا رواحلهم".

يا جيران الحرم الراحمون يرحمهم الله، ومن لايرحم لايرحم، ونبيك يحدثنا عن نبأٍ عجيب فيقول : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ ».

لا إله إلا الله غُفر لرجل رحم كلباً فكيف بمن رحم الحاج وأكرم ضيف الرحمن .

يا ساكن الحرم ..

أنت تعيش في قلب العالم الإسلامي ، أنت في البلد التي نزل فيه القرآن وعاش على ترابه سيد الأنام والصحب الكرام وتنزّل فيه جبريل .

فكم من الحجيج يأتي وهو يمني نفسه بأن يرى أحفاد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي،

يرى عمّار المساجد، وحماة الدين ، فإياك ثم إياك أن تسيء إلى حاج بقولك أو فعلك .

يا ساكن الحرم .. هل نسيت أن أهل الجاهلية كانوا يفتخرون بخدمة الحجيج ؟

فالعباس ابن عبدالمطلب كان يسقي الحجيج في الجاهلية ..

وكان عدي بن نوفل يسقي الحجيج اللبن والعسل ..

وذكر السهيلي أن قصياً كان يسقي الحجيج في حياض من أدَم وكان ينقل الماء إليها من خارج مكة .

يا ساكن الحرم ..

وما يدريك فقد تحسن إلى حاج من حجاج بيت الله الحرام فيرفع يده فيدعو الله عز وجل لك بدعوة تفتح لها أبواب السماء فقد روي أن النبي قال : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ» رواه البيهقي في السنن وصححه الحاكم .

يا ساكن الحرم ..

أن التكسب في الحج والبيع والشراء ليس سحتاً وحراما لكن استغلال الحجيج والسخف بعقولهم وأموالهم جرم عظيم، وخطر كبير، فقد وقف نبيك في عرفات يخاطب الأمة جميعاً بكلمات تهتز لها القلوب فقال : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » رواه البخاري من حديث ابن عباس { .

فيا صاحب السيارة .. ويا صاحب العمارة .. ويا صاحب التجارة .. ويا صاحب الطوافة .. اتقوا الله في حجاج بيت الله ، فعيب والله أن يكون العربي الجاهلي أكثر منّا كرما بالحجيج، وتالله إن السعي في خدمة الحجيج وبذل العون والراحة لهم من أعظم القربات .

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» رواه مسلم .